الباب الرابع

الحياة الاجتماعية والثقافية

١ـ الحياة الاجتماعية

عناصر السكان وطوائف المجتمع

لعب العنصر العربي في العراق دورًا كبيرًا في المجتمع العراقي، وكان على نوعين:

١- البدو: الذين نزحوا إليها من الجزيرة «قبائل بني عقيل وخفاجة وبني أسد».

٢- المتحضرون: سكان المدن «البصرة، الكوفة، بغداد» كان تأثير القبائل في المجتمع العراقي سيئًا فهم الذي نشروا الرعب والفساد والاضطرابات عن طريق الغارات مما سبب خراب بعض المدن؛ مثل: الكوفة التي دمرها بنو خفاجة.

أما تأثير سكان المدن المتحضرين الممثل في طبقة الأشراف خاصةً من العباسيين والطالبيين فقد كان واضحًا في بقاء القيم والمُثل والأخلاق العربية في المجتمع العباسي[١].

وفي عهد الخليفة القادر بالله نلاحظ وجود عناصر مختلفة بجانب العنصر العربي فهناك الأتراك الذين بدأ نجمهم يظهر في العراق منذ عهد الخليفة المعتصم لكن تأثير الأتراك لم يظهر في عهد هذا الخليفة بسبب حزمه وإنما ظهر فيما بعد[٢].

لم يعرف للأتراك من قبل مدنية أو حضارة، وإنما كانوا أشبه بالبدو يغلب على

(١) مليحة رحمة الله: الحالة الاجتماعية في العراق ص١٩.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال ص٤٠١.

طباعهم حب الجندية والفروسية، الأمر الذي دفعهم إلى الاستكثار من الجنود الترك المجلوبة من بلادهم؛ لتقوية حكمهم، كما عرفوا بأنهم ينظرون في شيء من الاحتقار إلى أهل البلاد التي يحكمونها وينتصرون لمذهب أهل السُّنَّة[١].

عاش في المجتمع العراقي العنصر الفارسي، فقد انتقل الحكم إلى العباسيين على أيدي الفرس مما سمح لهم فيما بعد أن يستأثروا بالنفوذ، وتأثر العباسيون بهم في مظاهر البلاد، وفي اللباس، وفي الاحتفال بالأعياد والمواسم، فمثلًا: «النيروز» كان عيدًا للفرس قديمًا، ولم نسمع في العصر الأموي أنه كان له شأن ذو بال، لكن العباسيين اتخذوه عيدًا قوميًّا يحتفلون به ويتبارون فيه بالهدايا والقصائد، ويجلس فيه الخلفاء للتهنئة[٢]، كذلك احتفل العباسيون بعيد المهرجان وهو عيد فارسي أيضًا[٣].

ظهر تأثير الفرس واضحًا في الملابس فقد أخذ العرب عن الفرس أنواعًا مختلفة منها، وتفننوا في حياكتها تظريزها وتزيينها بالذهب والجواهر، ومن بين الألبسة التي اتخذها الخلفاء عن الفرس القلانس، فاتخذ القضاة القلانس العظام، واتخذ الخلفاء العمائم على القلانس، وتفننوا في العمامة ونوعوها تبعًا للطبقات كما كان يفعل الفرس فالخلفاء عمة وللفقهاء عمة وللأعراب عمة كما انتشرت أيضًا الأزياء الفارسية الخاصة بالنساء[٤].

ظهر تأثير الفرس أيضًا في المجتمع العباسي في القصور بإدخال جميع أنواع الترف والبذخ فيها، حتى قيل: إن الخليفة القادر بالله كان يجلس في البيت المعروف

---

(١) د/ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٦٩.

(٢) أحمد أمين: ضحى الإسلام ١/ ١٠٢.

(٣) الجاحظ: التاج ص١٤٦.

(٤) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص١٢٤.

ببيت الرصاص، وبين يديه نهر يجري فيه الماء إلى دجلة، وكانت الأروقة تسمَّى بالأربعين أو الستين أو التسعين بحسب الغلمان أو الحرس الذين يجتمعون فيها[١].

ظهر في المجتمع العباسي عنصر الديلم[٢]، وتنقسم بلادهم إلى قسمين: سهل، وجبل، ويغلب على صفاتهم النحافة، وخفة الشعر والعجلة وقلة المبالاة[٣].

كان الديلم يدينون بالمذهب الشيعي، وقد حرضوا على إظهار تشيعهم في بعض الاحتفالات، وخاصةً مقتل الحسين في اليوم العاشر من المحرم، كما نراهم يقيمون الأفراح في عيد «غدير خم» الذي يوافق الثامن عشر من ذي الحجة[٤]، وقد أثاروا كثيرًا من الاضطرابات في عهد الخليفة القادر بالله بسبب نزاعهم مع الأتراك الذين يدينون بالمذهب السُّني[٥].

وكان عنصر الروم من بين عناصر المجتمع العباسي وقد جئ بهذا العنصر كأسرى حرب من أراضي الدولة البيزنطية، واعتبروا من الرقيق الأبيض، وكثر مدد المماليك الروم من رجال ونساء وغلمان في بيوت الخلفاء والأغنياء[٦].

انتشرت تجارة الرقيق في الدولة الإسلامية، وقد اشتهرت سمرقدن بأنها أكبر سوق للرقيق الأبيض، فكان يأتي إليها رقيق تركستان، وما وراء النهر وقد اتخذ أهلها

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية ٢/ ٢١٥.

(٢) المقريزي: السلوك ١/ ق١/ ٢٣-٢٤.

(٣) الاصطخري: المسالك والممالك ص١٢١.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ١٥.

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١/ ١٠٨.

(٦) د/ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٧١.

تربية الرقيق، وتهذيبهم صناعة يعيشون منها[١].

ومما يدل على كثرة الرقيق في بغداد ما يقوله أبو حيان التوحيدي[٢]: «وقد أحصينا ونحن جماعة في الكرخ وأربعمائة وستين جارية في الجانبين» وكانت عناية الرجال بتعليم الجواري أكثر من عنايتهم بتعليم الحرائر، ومما دعاهم إلى ذلك الناحية التجارية فالجارية إذا قومت بمائتي دينار وهي غير متعلمة تقوم إذا أجادت الغناء والأدب بأضعاف ذلك، أما الحرائر فكانت العناية بتعليمهن مقصورة على طبقة الأشراف ومن في حكمهم[٣].

كان المجتمع العباسي يضم عدة طوائف وقد ظهر في العصر العباسي جماعة من المسلمين تفخر بقرابتها للرسول ونسبها القرشي يطلق عليها «الأشراف» وكان هؤلاء الأشراف يأخذون باعتبارهم قرابة النبي راتبًا من الحكومة، وقد حرمت عليهم الصدقة هم ومواليهم، وكان لهم قضاء مستقل يتولاه نقيبهم الذي يعينه الخليفة، كما كان لهم نقباء في بغداد، وجميع المدن الكبرى مثل: واسط والكوفة، والبصرة، والأهواز[٤].

ويحدثنا الماوردي[٥] عن المهام التي اختصت بها النقابة بقوله: «إنها وضعت لصيانة ذوي الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم من النسب، ولا يساويهم في الشرف وهي على ضربين:

---

(١) د/ محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق ص١٧١.

(٢) التوحيدي: الامتناع والمؤانسة ٢/ ١٨٣.

(٣) د/ محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق ص١٧١.

(٤) آدم متز: الحضارة الإسلامية ١/ ٢٨١.

(٥) الماوردي: الأحكام السلطانية ٨٣-٨٦.

الخاصة: أن يقتصر النقيب بنظره على مجرد النقابة من غير تجاوز لها إلى حكم وإقامة حد، وتتضمن اثنى عشر حقًّا.

أما العامة: فلها خمس حقوق إضافة إلى الحقوق السابقة».

كان بنو هاشم من العباسيين والطالبيين يخضعون جميعًا لنقيب واحد من القرن الرابع الهجري، ثم صار لكل فريق منهم نقيب خاص في النصف الثاني من هذا القرن ويرجع السبب في ذلك التطور الذي طرأ على العباسيين، فقد ضعف أمرهم بينما أخذ نفوذ العلويين في الازدياد[١]، وقد يجمع النقيب بين عدة وظائف كما حدث في سنة ٣٩٤هـ.

عندما قلد بهاء الدولة البويهي بشيراز الشريف أبا أحمد الحسين بن أحمد بن موسى الموسوي قضاء القضاة والحج والمظالم ونقابة نقباء الطالبيين، ولقب بالطاهر الأوحد ذوي المناقب، لكن الخليفة القادر بالله رفض أن يأذن له بتولي القضاء؛ لأن تعيين القضاة من اختصاصه، وليس للأمير البويهي أن يعين قاضيًا[٢].

وقد قلد الخليفة القادر بالله الشريف الرضي أبا القاسم الموسوي الحج والمظالم ونقابة نقباء الطالبيين عام ٤٠٦ هـ[٣].

وقد أشار ابن حوقل[٤] إلى وجود أشراف في الأجزاء الإقطاعية من فارس فقال: «وبفارس سنة جميلة وعادة فيما بينهم كالفضيلة من تفضيل أهل البيوتات

---

(١) د/ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٧٧.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٣٣٣.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٢٧٦.

(٤) ابن حوقل: المسالك والممالك ص٢٠٣.

القديمة وإكرام أهل النعم الأولية، وفيها بيوت يتوارثون فيما بينهم أعمال الدواوين على قديم أيامهم إلى أيامنا».

كذلك عاش في المجتمع العباسي أهل الذمة من اليهود والنصارى والمجوس والصابئة كان اليهود منتشرين في العراق والمشرق، فأقاموا بمدينة الحلة على الفرات بالكوفة والبصرة، وبغداد، وهمذان وشيراز، وسمرقند، وكان بالمشرق مدينتان أطلق عليها اسم اليهودية، إحداهما قرب أصفهان والأخرى: شرق مرو[١].

أما عن النصارى فقد كثر عددهم في العراق في مدينتي الرها وتكريت[٢]، كان للنصارى رئيسان يعين كل منهما بعهد خاص من الخليفة، أحدهما يطلق عليه الجاثليق النسطوري، وثانيهما: بطريق اليعاقبة[٣]، وكانت الرئاسة في اليهود وراثية ويلقب رئيسهم بالملك، وكانوا يدفعون له الضريبة المقررة عليهم[٤].

كان أهل الذمة يعلمون صيارفة وتجارًا وأصحاب ضياع وأطباء[٥]، وكان أهل الذمة يتمتعون بكثير من ضروب التسامح الديني، ويقيمون شعائرهم الدينية في أمن ودعة، ولم تشر المصادر إلى قيام فتن دينية بين المسلمين وأهل الذمة في عهد الخليفة القادر بالله، وإنما تركزت الفتن الدينية في عهد هذا الخليفة بين السنة والشيعة[٦].

---

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية ١/ ٨٣.

(٢) آدم متز: المرجع السابق ١/ ٨٤.

(٣) HITTI. HISTORY OF THE AYABS P.355.

(٤) آدم متز: الحضارة الإسلامية ١/ ٧٨.

(٥) آدم متز: المرجع السابق ١/ ٨٦.

(٦) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٤١٤.

عاش في المجتمع العباسي أيضًا المجوس أتباع زردشت، اتخذوا من بيوت النيران معابد لهم، ظهرت هذه الديانة في فارس، ثم انتقلت إلى العراق[١]، ويتكاثر المجوس في العراق بالكوفة والبصرة، وفي المشرق في جنوب فارس[٢].

وكان للمجوس في القرن الرابع الهجري رئيس ديني يمثلهم في قصر الخلافة أسوة بغيرهم من طوائف أهل الذمة، يدفع له المجوس الضرائب[٣]، ولم تكن هناك تفرقة بين المجوس وغيرهم.

يقول المقدسي[٤]: «إنه لم ير في شيراز غيارًا على مجوسي يميزه عن غيره وأن الأسواق تزين في أعيادهم».

ومن طوائف المجتمع: الصابئة قال المسعودي عنهم[٥]: «إن أصل عبادتهم هي عبادة النجوم والكواكب ثم تطورت إلى عبادة الأصنام» أما هلال الصابئ فيقول[٦]: «إن الصابئة حران تعبد الكواكب يجرون بذلك مجرى عبدة الأوثان، أما صابئة العراق فيهم فرقة موحدة نشأت في فلسطين قبل ظهور النصرانية، وهم من أتباع يوحنا المعمدان المشهور في المراجع العرابية باسم يحيى بن زكريا».

وقد أقامت فرقة الصابئة في منطقة البطائح في جنوب العراق[٧].

---

(١) مليحة رحمة الله: الحالة الاجتماعية في العراق ص٤٥-٤٦.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص٤٣٩.

(٣) د/ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٧٩.

(٤) المقدسي: المصدر السابق ص١٧٠.

(٥) المسعودي: مروج الذهب ٢/ ١٣٣.

(٦) الصابئ: رسوم الخلافة ص٧.

(٧) المسعودي: المصدر السابق ٢/ ١١١.

أما تأثير الصابئة في المجتمع فإنه لم يكن فعالًا وظاهرًا، إذ لم يكن لهم نشاط كبير ويرجع السبب في ذلك إلى قلة عددهم، وعدم تصاهرهم مع مخاليفهم في الدين، ولسرية تعاليمهم الدينية، حتى إنهم حاولوا التستر بالإسلام خوفًا من القتل، وهؤلاء هم صائبة حران، أما صائبة العراق فقد جاروا المسلمين في صيامهم اليوم الأول من رمضان، وقد اشتهر الصائبة ببراعتهم في بعض الصناعات كالنقش على الفضة.

ولا تزال جماعة الصابئة العراقية تقوم بهذه الصناعة إلى اليوم كما نبغ منهم بعض الأطباء مثل: ثابت بن سنان[١]، وابن قرة[٢]، واحتل بعض كتابهم مركزًا كبيرًا في

(١) هو ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الحراني الصابئ: ، أبو الحسن طبيب مؤرخ خدم الخليفة الراضي بالله العباسي ثم المتقي لله والمستكفي والمطيع وألف «تاريخًا» ذكر فيه ما كان في أيامه، ابتدأه بسنة ٢٩٥هـ، وختم بوفاته سنة ٣٦٥هـ/ ٩٧٦م وله كتاب في «أخبار الشام ومصر» وهو خال هلال بن الصابئ:.

انظر المزيد في: معجم الأدباء ٢/ ٣٩٧، أخبار الحكماء ص٧٧.

(٢) هو ثابت بن قرة بن زهرون الحراني الصابئ: أبو الحسن طبيب حاسب فيلسوف، ولد سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٦م، ونشأ بحران «بين دجلة والفرات» وحدثت له مع أهل مذهبه الصابئ:ة أشياء أنكروها عليه في المذهب، فحرم عليه رئيسهم دخول الهيكل، فخرج من حران وقصد بغداد، فاشتغل بالفلسفة والطب فبرع، واتصل بالمعتضد «الخليفة العباسي» فكانت له عنده منزلة رفيعة وصنَّف نحو ١٥٠ كتابًا منها «الذخيرة في علم الطب»، و«المباني الهندسية»، و«الشكل القطاع» رسالة و«مساحة المخروط الذي يسمى المكافئ» رسالة «آلات الساعات» في المزاول و«تركيب الأفلاك» و«رسالة في الموسيقى» و«طبائع الكواكب» و«الهيئة» و«علة الكسوف والخسوف» و«الرصد» و«تصحيح مسائل الجبر» بالبراهين الهندسية «مراتب العلوم»، و«أصول الأخلاق» و«العمل في الكرة» و«تولد النار بين الحجرين» و«المسائل الطبية»، و«كتاب الهندسة» نحو ألف صفحة، وأكثر كتبه في الهندسة

الدولة من أمثال هلال بن الصابئ[1].

والموسيقى وكان يحسن السريانية وأكثر اللغات الشائعة في عصره، فترجم عنها كثيرًا إلى العربية ومات سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠١م.

انظر المزيد في: طبقات الأطباء ١/ ٢١٥-٢٢٠، حكماء الإسلام ص٢٠، وفيات الأعيان ١/ ١٠٠.

(١) مليحة رحمة الله: الحالة الاجتماعية في العراق ص٤٤.

المجالس الاجتماعية

الغناء والموسيقى

انتشرت مجالس الغناء والطرب في قصور الخلفاء ورجالات الدولة في العصر العباسي، وكان يحضرها المغنون والمغنيات والندماء، واستمر اهتمام الخلفاء العباسيين بمجالس الطرب والغناء على الرغم من الضعف الذي تعرضت له دولتهم منذ أوائل القرن الثالث الهجري، ويرجع انتشار الغناء في هذا العصر إلى كثرة الجواري، وكان معظم القيان اللاتي يحترفن الغناء ببغداد في أوائل القرن الرابع الهجري من الجواري، وقليل منهنَّ من الحرائر، وكان الجواري يغنين من وراء ستار، وإذا ما أقيم حفل وأرادوا إكرام ضيف غنت المغنيات في هذا الحفل أمام الستار[١].

وفي عهد الخليفة القادر بالله لم يكن هناك اهتمام ملحوظ من جانبه بمجالس الغناء، لشدة تدينه وورعه وزهده، فقد كان دأبه التهجد بالليل والنهار[٢]، وإنما اقتصر الاهتمام بهذه المجالس في قصور رجالات الدولة ومنازل الخاصة من الناس، وإلى جانب مجالس الغناء كانت هناك المجالس الخاصة التي تُعقد في داخل المنازل لسماع الحكايات القصيرة من النوادر الهزلية والأحاديث التي يتجلى فيها اللباقة العقلية، ولقضاء أوقات فراغهم في لعب الشطرنج والنرد، ويقال: إن الشطرنج اختراع هندي، أما النرد فهو من اختراع الفرس[٣].

وكان الفقهاء في البداية لا يجيزون لعب الشطرنج ثم تساهلوا في أمره، ويقول

---

(١) د/ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٩٦.

(٢) الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك ص٢٦١.

(٣) د/ محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق ذكره ص٢٠١.

سهل بن أبي سهل مفتي نيسابور المتوفى عام ٤٠٤هـ في الشطرنج: «إذا سلم المال من الخسران والصلاة من النسيان فذلك انص بين الخلان»[١].

وهناك مجالس القصاص حيث يوضح لنا ابن دقماق[٢] في كتابه: «الانتصار بواسطة عقد الأمصار» بداية القصص في الجامع فيقول: نستدل عليه من خلال حديث نافع مولى عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمر قال: «لم يقص في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زمان أبي بكر ولا عمر وعثمان رضي الله عنهم وإنما كان القصص في زمن معاوية».

كذلك روى ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عليًّا رضي الله عنه قنت فدعا على قوم من أهل حربه فبلغ ذلك معاوية فأمر رجلًا يقص بعد الصبح وبعد المغرب يدعو له ولأهل الشام، قال يزيد: فكان ذلك أول القصص والقاص أو القصاص هو الرجل الذي كان يجع الناس حوله في الطرق أو في المساجد من غير أن تكون له صفة رسمية، فيذكر بعضهم حينًا الأحاديث والأخبار المأثورة ويسليهم بالقصص والحكايات حينًا آخر، وكان الغرض من القصاص هو رواية القصص الدينية وإرشاد الناس وحثهم على اتباع الطريق القويم[٣]، ومن أشهر القصاصين في عهد الخليفة القادر بالله علي بن هلال المتوفى سنة ٤١٢هـ. وكان كاتبًا مشهورًا وقصاصًا بجامع بغداد[٤].

وفي القرن الرابع نزل القصاص إلى غمار العامة، وصاروا يقصون لهم القصص

---

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية ٢/ ٢٥٧.

(٢) ابن دقماق: الانتصار بواسطة عقد الأمصار ٤/ ٧٢.

(٣) آدم متز: المرجع السابق ٢/ ١٤٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٦/ ٣٢٤.

الدينية والأساطير والنوادر في المساجد والطرق وينالون منهم مالًا كثيرًا[١]، ولما انحدر مستوى القصص في هذا القرن وقف بعض الكتاب والعلماء من هؤلاء القصاص موقفًا حازمًا، ومن بين الكتاب الذين انتقدوا مسلك هؤلاء القصاص «المقدسي» الذي قال عنهم: «إنهم يروون الأعاجيب والترهات والأباطيل».كما طعن في أقوالهم البيروني، والدارقطني، وابن الجوزي.

أما الخليفة القادر بالله فقد ناهضهم سنة ٤٠٨هـ، بسبب إثارتهم الفتن الداخلية، واتخذت إجراءات شديدة للقضاء على هذه الفئة التي استطاعت أن تسيطر على عقول العامة[٢].

أما مجالس الوعاظ فإن الواعظ يقوم مقام المدرس ويحضر حلقته جميع أفراد المجتمع دون تمييز، فيشرح لهم المسائل الشرعية، ويجيب على الأسئلة التي توجَّه إليه، وقد حافظت مجالس الوعظ العامة على سمعتها الطيبة طيلة القرنين الأول والثاني بعد الهجرة؛ لأن عامة الناس كانت لا تزال متمسكة بالدين[٣].

كانت تعقد مجالس الوعاظ في المساجد حيث يقوم الواعظ بشرح المسائل الشرعية والإجابة على الأسئلة التي توجه إليه من الذين يحضرون حلقته، وقد استعان الخليفة القادر الله العباسي بالوعاظ حين قام الخلاف بين أهل السنة والشيعة، فطلب منهم مساندة أهل السنة[٤].

---

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية ٢/ ١١١.

(٢)د/ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٩٩.

(٣) مليحة رحمة الله: الحالة الاجتماعية في العراق ص٩٩.

(٤)د/ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص٢٠٠.

وقد حثَّ بعض علماء الدين كالغزالي[١] على منع النساء من حضور مجالس الوعاظ، خشية أن يؤدي ذلك إلى الفتنة، كما أن هؤلاء العلماء حثُّوا الوعاظ على الظهور أمام الناس بمظهر يتجلى فيه الورع والوقار وأن يتزيوا بزي الصالحين[٢].

ومن أشهر الوعاظ في عهد الخليفة القادر بالله «أبو الحسن بن سمعون»[٣] ٣٠٠-٣٨٧هـ، ومما يجدر ذكره أن الوعظ انحرف عن الاتجاه المرسوم له، لكن الدولة لم تكن غافلة عن تصرفات هؤلاء الوعاظ فكانت تناقش من يسئ التصرف منهم وتمنعه من الوعظ، بل تطرده خارج العراق إذا انحرف عن مهمته، وقد حدث ذلك حين اشتدت الفتنة المذهبية في عهد الخليفة القادر بالله إذ صدرت مراسيم[٤]، تحدد مجال القول عند الوعظ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وقد أذيعت هذه المراسيم على جمع من الفقهاء والوعاظ والزهاد، والقضاة والأشراف في دار

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد حجة الإسلام فيلسوف متصوف، له نحو مائتي مصنف مولده سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م، ووفاته في الطابران ٥٠٥هـ/ ١١١١م «قصبة طوس بخراسان» رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته، نسبته إلى صناعة الغزال «عند من يقوله بتشديد الزاي» أو إلى غزالة من «قرى طوس» لمن قال بالتخفيف، من كتبه: «أحياء علوم الدين»، «تهافت الفلاسفة»، « الاقتصاد في الاعتقاد»، «محك النظر»، «معارج القدس في أحوال النفس»، و «الفرق بين الصالح وغير الصالح»، و «مقاصد الفلاسفة» وغيرهم.
انظر المزيد في: وفيات الأعيان ١/ ٤٦٣، طبقات السبكي ٤/ ١٠١، شذرات الذهب ٤/ ١٠، الوافي بالوفيات ١/ ٢٧٧، مفتاح السعادة ٢/ ١٩١-٢١٠، تبيين كذب المفترى ص٢٩١-٣٠٦، آداب اللغة ٣/ ٩٧، اللباب ٢/ ١٠٧.

(٢) آدم متز: الحضارة الإسلامية ٢/ ١١٨.

(٣) آدم متز: الحضارة الإسلامية ٢/ ١١٨.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم ٨/ ٤١.

الخلافة[1].

(١) مليحة رحمة الله: الحالة الاجتماعية في العراق ص١٠٢.

الحياة العلمية والأدبية

ظهرت النهضة الثقافية في عهد الخليفة القادر بالله في عدة مدن بالعراق والمشرق، وتعد بغداد والكوفة والبصرة من أهم مراكز الثقافة الإسلامية بالعراق، ولم يكن في القرن الأول الهجري مدينة تستطيع أن تنافس البصرة أو الكوفة إذ في هاتين المدينتين وضعت علوم العقائد، والفقه من قبل الفرس الذين أسلموا وتلاميذهم ثم نشأت في كلتا المدينتين مدرسة «مذهب» النحويين واللغويين[١] في أواسط القرن الثاني ظهرت مدينة بغداد التي ظلت ميدانًا للأفكار الجديدة في أواخر القرن الخامس الهجري[٢].

ومن مراكز الثقافة في العراق خزانة كتب علي بن يحيى المنجم المتوفى سنة ٢٧٥هـ وتقع في قرية قريبة من بغداد ويطلق على هذه الخزانة اسم «خزانة الحكمة»، وكان الناس يقصدونها من كل بلد، فيقيمون فيها ويكتسبون المزيد من العلم بفضل توافر الكتب فيها[٣]، كما يوجد في مدينة بغداد مركز ثقافي هام يطلق عليه «دار العلم» أسس الوزير البويهي أبو نصر سابور بن أردشير سنة ٣٨١هـ وحمل إليه كتب العلم من كل فن، وكان يوجد به أكثر من عشرة آلاف مجلد[٤].

أما الدراسة التي اشتغل بها المسلمون في العراق فكانت نوعين:

١ - دراسة دينية: حول القرآن والحديث.

---

(١) ف. بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية ص٧٥.

(٢) هاملتون جب: دراسات حضارة الإسلام ص٨٤.

(٣) ناجي معروف والدوري موجز تاريخ الحضارة ص١٦١.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم ٨/ ١٢.

٢- دراسة دنيوية: حول الطب والفلسفة والكيمياء والمنطق والرياضيات والتاريخ والجغرافيا[١].

وأهم مظهر لدراسة الحديث هو التدوين، أما التفسير فقد نشأ فرعًا من فروع الحديث، يروى فيه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم ما يتعلق بالقرآن من ذكر فضائله، وتفسير بعض آياته[٢].

كانت أصبهان والري من أهم المراكز الثقافية في فارس في العهد البوييهي، حيث كان بلاد بني بويه هناك كعبة يؤمها العلماء ورجال الأدب[٣]، وقد تقدمت الحركة الأدبية في الري بعد أن أتخذها أبو الفضل بن العميد وزير ركن الدولة مركزًا له.

فقد تشبَّه ابن العميد بالبرامكة وفتح بابه للعلماء والشعراء، والأدباء، وكان يشاركهم في كل ما يعلمون إلا الفقه، كما تفوق في علوم كثيرة منها: الهندسة، والمنطق، وعلوم الفلسفة والطبيعة، وبلغ من اهتمام ابن العميد باقتناء الكتب أنه أنشأ مكتبة عظيمة، كانت أعز شيء لديه، وعين أحد العلماء قيِّمًا عليها وهو مسكويه[٤].

أنشأ القاضي ابن حيان في مدينة نيسابور دارًا للعلم، وخزانة كتب ومساكن للغرباء الذين يطلبون العلم، وأجرى لهم الأرزاق، ولم تكن الكتب تعار خارج

(١) د/ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص٢٠٥.
(٢) أحمد أمين: ضحى الإسلام ٢/ ١٠٦، ١٣٨.
(٣) د/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ٣/ ٢٣٣.
(٤) د/ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص٢١٩.

الخزانة[١].

أيضًا ومن مراكز الثقافة الإسلامية «بخارى» التي اتخذها السامانيون حاضرة لهم، وقد جذبت هذه المدينة كثيرًا من الشعراء والأدباء، وقال في وصفها الثعالبي[٢]: «كانت بخارى في الدولة السامانية مثابة المجد وكعبة الملك ومجمع أفراد الزمان ومطلع نجوم أدباء الأرض وموسم فضلاء الدهر».

كان لأبي محمد بن البلعمي المتوفى سنة ٣٨٦هـ وزير منصور الأول بن نوح الساماني أثر كبير في النهوض بالحركة العلمية والأدبية في بخارى، فقد ترجم مختصرًا لتاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري إلى اللغة الفارسية[٣].

ومن كتب الطب التي ألفت في عهد السامانيين: كتاب المنصوري في الطب الذي ألفه أبو بكر الرازي، وأهداه على منصور بن إسحاق بن أحمد الساماني الذي ولي سجستان نيابة عن السامانيين.

وقد روى ابن سينا «الذي قامت علاقته بالسامانيين منذ حادثة سِنه على أساس متين بعد أن أسعده الحظ بشفاء الأمير نوح بن منصور على يديه، أنه رأى في مكتبة بخارى حاضرة الدولة السامانية من طرائف الكتب ما لم يسمع بمثله من قبل»[٤].

وفي بلاد السامانيين بلغت الجغرافية العربية أوجها العلمي أيضًا، ففي عهد الأمير إسماعيل الساماني، ألف الوزير أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني كتابًا لم

---

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية ١/ ٣٢٩.

(٢) الثعالبي: يتيمة الدهر ٣/ ٤٠.

(٣) BYOWNE ALI TEYAY HISTRY OF PEYSIA VOL.. P.365.

(٤) د/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ٣/ ٨٢.

يصلنا، تناول فيه وصف البلدان المجاورة، كما أن أبا زيد البلخي وكان في خدمة الأمير إسماعيل ببلخ، وضع مصورًا جغرافيًّا جعله ذيلًا لأطلس إسلامي قديم، موضوع على أساس كتاب اقتبسه الخوارزمي عن جغرافية بطليموس[١]، ومن المدن التي اشتهرت بالعلم في إقليم ما وراء النهر سمرقند، فقد كانت مركزًا هامًّا للعلوم والفنون في عهد السامانيين[٢].

أما عن الحركة العلمية والأدبية في غزنة، فقد أنشأ بها محمود الغزنوي مسجدًا جامعًا وألحق به مدرسة رتب لأساتذتها الرواتب وأجرى على طلابها الجرايات، وأمدها بمكتبة حوت من نفائس الكتب الشيء الكثير[٣].

وقد سار ابنه مسعود في نفس الطريق من حيث تشجيع العلماء ورعايتهم فصنَّفوا له التصانيف: الكثير مثل: «المسعودي في الفقه الحنفي» للقاضي أبي محمد الناصحي[٤]، كما صنف البيروني له كتاب: «القانون المسعودي في الهيئة والنجوم» الذي تضمن دراسة علم الفلك[٥].

كانت الكتابة تحظى باهتمام كبير في هذا العهد، ونستطيع أن نأخذ نموذجًا لها من كتب محمود الغزنوي للخليفة العباسي القادر بالله.

---

(١) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٢/ ٢٦٥.

(٢) د/ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص٢٢٣.

(٣) عبد الحميد العبادي: صور وبحوث من التاريخ الإسلامي ص٨١.

(٤) د/ عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند ص٩٧.

(٥) HITTI HISTORY WTHE AROBS P.374.

كان محمود الغزنوي يستهل كتبه إلى القادر بالله بهذه العبارة: «بسم الله الرحمن الرحيم

لحضرة سيدنا ومولانا عبد الله أبي العباس أحمد القادر بالله أمير المؤمنين، من عبده وخادمه وضيعه وغرسه محمود بن سبكتكين وذلك في سطر واحد.

وفي الصدر بسم الله الرحمن الرحيم لحضرة سيدنا ومولانا عبد الله أبي العباس أحمد الإمام القادر بالله أمير المؤمنين من عبده وخادمه وضيعه وغرسه محمود بن سبكتكين سلام على سيدنا ومولانا الإمام القادر بالله أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فإن العبد يحمد إليه الذي لا إله إلا هو ويسأله أن يصلي على محمد عبده ونبيه صلى الله عليه وعلى آهل الكرام، وخص سيدنا مولانا الإمام القادر بالله أمير المؤمنين بأفضل التحية وأطيب السلام.

أما بعد ... أطال الله بقاء سيدنا ومولانا الإمام القادر بالله أمير المؤمنين وأدام له العز والتأييد والقدرة والتحميد والسمو والغبطة وأمضى شرقًا وغربًا أحكامه ونصر برًّا وبحرًا أعلامه.

وفي آخر الكتاب بعد إن شاء الله والسلام على سيدنا ومولانا الإمام القادر بالله أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ويعاد الدعاء الأول وفي كتب أخرى على عناوينها من الجانب الأيسر عبد سيدنا ومولانا الإمام القادر بالله أمير المؤمنين.

وفي صدر الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم سلام على سيدنا ومولانا الإمام القادر بالله أمير المؤمنين»[1].

(١) الصابئ: رسوم دار الخلافة ص١٠٨-١١٠.

٢- أشهر العلماء والأدباء

نبغ في عهد الخليفة القادر بالله الكثير من الفلاسفة والفقهاء والعلماء والشعراء نخص بالذكر منهم:

١- مسكويه: ويعدُّ من أشهر علماء ذلك العهد واسمه: أبو علي أحمد بن محمد المتوفى سنة ٤٢١هـ، ومن أهم كتبه: «تهذيب الأخلاق»، و «تجارب الأمم» وقد عنى المؤرخ مسكويه في هذا الكتاب بذكر الحوادث التاريخية كما اهتمَّ أيضًا بالشئون الاجتماعية والأحوال الاقتصادية وقد أسهب في هذا الكتاب في التحدث عن تاريخ بني بويه، كما أمرنا بمعلومات عن الأحوال الخارجية للعباسيين[١].

وكان مسكويه قيِّمًا على خزانة كتب كل من ابن العميد وعضد الدولة، وبهاء الدولة[٢].

٢- أبو علي بن زرعة: من علماء بغداد برز في المنطق والفلسفة، ونقل عدة مصنفات إلى العربية، ولد سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة في بغداد ونشأ بها وكان كثير الصحبة ليحيى بن عدي[٣]، وحسن الترجمة، صحيح النقل، كثير الرجوع إلى

---

(١) د/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ٣/ ٤٠٢.

(٢) أبو حيان: الامتاع والمؤانسة ١/ ٣٥.

(٣) هو يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا أبو زكريا فيلسوف حكيم انتهت إليه الرياسة في علم المنطق في عصره، ولد بتكريت سنة ٢٨٠هـ/ ٨٩٤من وانتقل إلى بغداد وقرأ على الفارابي وترجم عن السريانية كثيرًا إلى العربية، وتوفي ببغداد سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٥م ودفن في بيعة القطيعة، كان ملازمًا للنسخ الكتب بيده، كتب نسختين من تفسير الطبري وأهداهما إلى بعض الملوك ونسخ كثيرًا من كتب المتكلمين وقال أبو حيان: «كان شيخًا لين العريكة، =

الكتب[١].

ومن أشهر الأطباء في عهد الخليفة القادر بالله علي بن العباسي المجوسي من الأهواز المتوفى سنة ٣٨٤هـ، كان طبيبًا ماهرًا متميزًا في صناعة الطب صنف لعضد الدولة البويهي كتابًا قيمًا، يشتمل على أجزاء الصناعة الطبية وعملها اسمه: «كتاب الملكي في الطب عشرون مقالة»[٢].

نبغ في العراق كثير من علماء المذاهب المختلفة ففي أواخر العهد البويهي نبغ فقيه من فقهاء الشافعية يدعى أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري المعروف بالماوردي من أهل البصرة، لكنه اتخذ بغداد موطنًا له وتوفي بها.

وقد روى عنه الخطيب أبو بكر صاحب كتاب «تاريخ بغداد» ومن تصانيفه «تفسير القرآن الكريم» و «أدب الدنيا والدين» و «الحاوي» وهو من أهم الكتب في الفقه الشافعي وكتاب «الأحكام السلطانية» الذي شرح فيه مناصب الدولة، كالإمامية وشروطها والوزارة وأقسامها والقضاء والحسبة و وولاية الخراج، وله

= فروقة، مشوه الترجمة، رديء العبارة، ولم يكن يلوذ بالإلهيات، كان ينبهر فيها ويطل في بساطتها» من كتبه «تهذيب الأخلاق» و «شرح مقالة الإسكندر» في الفرق بين الجنس والمادة، و«المقالة في الموجودات» وغيرهم.

انظر المزيد في: أخبار الحكماء للقفطي ٢٣٦- ٢٣٨، طبقات ابن أبي أصيبعة ١/ ٢٣٥، حكماء الإسلام ٩٧، الإمتاع والمؤانسة ١/ ٣٧، الفهرست ص٢٦٤، تاريخ مختصر الدولة ص٩٣، ٢٩٦.

(١) ابن أبي أصيغة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص٣١٨.

(٢)ابن أبي أصيغة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص٣١٩.

كتاب آخر في قانون الوزارة وسياسة الملك[١].

ومن الفقهاء الذين اشتهروا في عهد الخليفة القادر بالله القاضي أبو الحسن علي ابن سعيد الاصطخري وهو شيخ من شيوخ المعتزلة ومشهوريهم، وله تصانيف في الردِّ على الباطنية، صنفها تلبية للقادر بالله وقد أجرى عليه القادر بالله جراية سنية وحبسها من بعده على بنيه[٢].

كذلك كان من بين الفقهاء أبو حامد بن محمد الإسفرائني المتوفى سنة ٤٠٦هـ إمام أصحاب الشافعي حتى قيل: إنه أفقه وأنظر منه، وكان يدرس بمسجد عبد الله ابن المبارك[٣]، ببغداد، يحضر مجلسه ما بين ثلاثمائة وسبعمائة فقيه[٤].

ومن أشهر العلماء إبراهيم بن هلال الصابي، نشأ إبراهيم ببغداد وتأدب بها،و كان بليغًا في صناعتي النظم، والنثر، وله يد طولى في علم الرياضة وخاصة الهندسة،

---

(١) د/ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص٢١٥.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٢٦٨.

(٣) آدم متز: الحضارة الإسلامية ١/ ٢٣٣.

(٤) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء التميمي المروزي أبو عبد الرحمن الحافظ شيخ الإسلام المجاهد التاجر صاحب التصانيف والرحلات، أفنى عمره في الأسفار حاجًّا ومجاهدًا وتاجرًا، وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء كان من سكان خراسان، ومات سنة ١٨١هـ/ ٧٩٧م بهيت «على الفرات» منصرفًا عن غزو الروم، له كتاب في «الجهاد» وهو أول من صنف فيه «الرقائق» في مجلد، وكان مولده سنة ١١٨هـ/ ٧٣٦م

انظر المزيد في: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٣، الرسالة المستطرفة ص٣٧، مفتاح السعادة ٢/ ١١٢، حلية الأولياء ٨/ ١٦٢، ذيل المذيل ص١٠٧، شذرات الذهب ١/ ٢٩٥، تاريخ بغداد ١٠/ ١٥٢.

خدم إبراهيم بن هلال الصابي أمراء بني بوهيه واختلفت به الأيام مما بين رفع ووضع وتقديم وتأخير واعتقال وإطلاق وتوفي ببغداد في عهد الخليفة القادر بالله سنة ٣٨٤هـ[١]، كذلك هناك العالم أبو القاسم عيسى بن الوزير الكبير علي بن عيسى بن الجراح، قرأ المنطق على يحيى بن عدي ودرس الفقه والأدب على علماء عصر، وعمل في ديوان الرسائل ومات سنة ٣٩١هـ، وكان حجة في النقل والترجمة والتصرف في فنون اللغات وضروب المعاني والعبارات[٢].

ومن أشهر الشعراء في عهد الخليفة القادر بالله الشريف الرضي الذي ولد سنة ٣٥٩هـ ببغداد، وتوفي سنة٤٠٦هـ واسمه محمد بن الطاهر أبو أحمد الحسين بن موسى أبو الحسن العلوي، لقبه بهاء الدولة بالرضي ذي الحسبين ولقب أخاه المرتضى ذي المجدين، ولي نقابة الطالبيين ببغداد بعد أبيه، وكان شاعرًا سخيًّا جوادًا وقال بعضهم كان الشريف في كثرة أشعاره أشعر قريش[٣].

ومن شعراء ذلك العهد أبو القاسم علي بن جلبات، وقد نظم قصيدة في الخليفة القادر بالله يقول فيها:

رأيت قادرًا بالله لم يعد قدره ... مدى العفو عما رام باغ وحاسد

رأينا به العباس معنى وصورة ... فما عد عنا غائبًا فهو شاهد[٤]

والشريف المرتضى: أبو القاسم علي بن الطاهر ذي المناقب، يرجع نسبه إلى علي

(١) أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة ١/ ٣٠.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ٣.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/ ٤١٤.

(٤) الثعالبي: يتيمة الدهر ٣/ ٨٨.

بن أبي طالب وهو أخو الشريف الرضي، له تصانيف على مذهب الشيعة ومقالة في أصول الدين، وله ديوان شعر كبير، وقد اختلف الناس في كتاب «نهج البلاغة» المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه، ومن تصانيفه كتاب سمَّاه «الغرر والدرر» وهي مجالس أملاها تشتمل على فنون من معاني الأدب تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك، وتوفي سنة ٤٣٦هـ[١].

وقد حفل بلاط السامانيين بكثير من الشعراء الذين نظموا شعرهم بالعربية وبالفارسية واشتهر في هذا العصر كثير من شعراء الفرس من أمثال عمر الخيام صاحب الرباعيات[٢].

ومن العلماء البارزين الخوارزمي الذي ولد ببلخ وعاش بنيسابور في بلاد السامانيين، توفي عام ٣٨٧ هـ، وكان الخوارزمي كاتبًا باحثًا عالمًا مشاركًا في علوم كثيرة ويعد كتابه «مفاتيح العلوم» أقدم دائرة معارف عربية على طريقة موسوعية منظمة، تحد فيه عن الفقه والكلام والنحو والشعر والفلسفة والمنطق والطب والهندسة والموسيقى والكيمياء[٣].

كذلك هناك الوزير الصاحب إسماعيل بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥هـ، وقد ولي الوزارة لفخر الدولة بالري، وكان عالمًا بأنواع العلوم عارفًا بالكتابة وموادها ورسائله مشهورة مدونه، جمع من الكتب، ما لم يجمعه غيره حتى أنه كان يحتاج في

(١) ابن خِلِّكان: وفيات الأعيان ٣/ ٣١٣.
(٢) د/ حسن أحمد محمود، وأحمد الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي ص٤٧١.
(٣) الخوارزمي: مفاتيح العلوم ٧/ ٩.

نقلها إلى أربعمائة جمل، وكان يبعث في كل سنة إلى بغداد بخمسة آلاف دينار لتصرف على أهل العلم، وله اليد الطولى في الأدب ومصنفات في فنون العلم[١].

كذلك ظهر بالري بعض نوابغ العلماء منهم أبو بكر محمد بن زكريا الرازي[٢]، وهو من أكبر فلاسفة المسلمين، بل تفوق عليهم في الطب النظري والعملي والكيمياء، وكان أبو بكر الرازي في حداثة سنه مولعًا بالغناء، ثم أقبل على دراسة الطب فحذقه وألف فيه كتبًا كثيرة[٣].

كان بلاط محمود الغزنوي ملاذًا لمشاهير العلماء والأدباء نخص بالذكر منهم بديع الزمان الهمذاني وأبو بكر الخوارزمي والبيروني[٤].

نبغ البيروني في كثير من العلوم وبخاصة الرياضة والفلك، وكان إلى جانب ذلك مُلمًّا بلغات الهند، وثقافاتها وحضارتها بحكم رحلاته العلمية في بلاد الهند، كذلك كان لأبي النصر محمد العتبي مؤرخ «الدولة الغزنوية» مكانة كبيرة عند محمود ابن سبكتكين الغزنوي، فقد ألف كتابًا سماه «اليمينى» نسبة إلى لقب محمود بن سبكتكين وهو «يمين الدولة» الذي لقبه به الخليفة القادر بالله.

ومن الأدباء الذين اختصوا بالسلطان محمود الغزنوي أبو الفتح علي بن محمد البستي الذي اشتهر بجودة شعره ونثره[٥].

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧/ ١٦٩.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٣١٤.

(٣) د/ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص٢١٩.

(٤) د/ عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند ص٩٥.

(٥) د/ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق ص٢٢٥.

ومن مشاهير الشعراء الفرس الذين ظهروا في ذلك العهد «الفردوسي» واسمه أبو القاسم الحسن بن علي الفردوسي، وكلمة «الفردوسي» هو لقبه الشعرى، فقد جرت عادة الفرس من قديم أن يخلعوا على شعرائهم ألقابًا خاصة، نشأ الفردوسي فارسي الهوى شيعي المذهب معتزلي الرأي، ومما يذكر عنه أنه عكف على إتمام ما شرع فيه الشاع الدقيقي، فقضى ثلاث وعشرين سنة في نظم الشاهنامة فأتمها سنة ٣٨٩هـ ثم أهدى النسخة الأولى منها إلى كبير من كُبراء الفرس بأصفهان يقال له أحمد الخالنجاني فأجاره عليها بجائزة يسيره ولما تنكر الزمان له، أخذ يبحث عن أمير نبيل أو ملك جليل، يهدي إليه الشاهنامة فيجيزه بجائزة تحقق أمنيته، وسرعان ما وجد ذلك الملك الجليل في شخص السلطان محمود الغزنوي[١].

توجَّه الفردوسي إلى غزنة ومعه الشاهنامنه، فلقي وزير السلطان الرئيس الكبير أبا العباس الفضل بن أحمد، وكان معنيًّا بنشر الفارسية، فأبلغه حضرة السلطان وأطلع السلطان على الشاهنامه، وأدرك أنه ثمرة مجهود عقل جبار؛ لكنه مع ذلك لم يتقبله بقبول حسن، ولا شكَّ أن ذلك السلطان التركي المسلم الذي أنفق من الجهد في إعلاء كلمة الإسلام في الهند ما أنفق، والذي كان نصيرًا للسُّنَّة، وخصمًا للباطنية والمعتزلة، لم يعجبه أن يشيد الفردوسي، بمجد حازه الفرس أيام مجوسيتهم، كما لم يعجبه أن ينفخ في بوق العصبية الفارسية[٢].

ويعلل بروكلمان رفض السلطان محمود للشاهنامه بقوله: «إن هذا السلطان لم يكن قادرًا أن يفهم شيئًا من شعر الفردوسي، مع أن الفردوسي مجد السلطان محمود في مواطن كثيرة، إلا أنه لم يمنحه جائزة تحقق أمنيته، فأجابه الفردوسي على ذلك بهجاء لاذع، ثم انصرف عنه هاربًا إلى بلاط الأمير بهاء الدولة»[٣].

---

(١) د/ عبد الحميد العبادي: صور وبحوث من التاريخ الإسلامي ص٨٤.

(٢) د/ عبد الحميد العبادي: المرجع السابق ص٨٦.

(٣) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٢/ ٢٧٠.